عبدالرحمن القحطاني.. الباحث عن اللذة

التقيت عبدالرحمن محمد القحطاني لأول مرة في كلية العمارة والتخطيط في جامعة الملك فيصل في الدمام عام ١٩٩٦. كان يأكل أصابعه بشراهة حتى يكاد ينتزعها من يديه. كان يحضر الجامعة ناقصا. جسده بيننا في حين عقله يتنزه في مكان آخر. يجيء متأخراً وأحيانا لا يجيء. في الاختبارات كان ينتهي قبل الجميع. ونفاجأ في كل مرة أنه يحصل على أعلى درجة. كان لا ينقصه سوى الانتظام ليتصدر دفعته. فمن يراقبه وقتئذ سيجزم بأنه تائه في مطار. لا يعلم متى ستقلع الطائرة وإلى أين؟! حينما مرض في عامه الثاني، واضطر إلى طي قيده في الجامعة والعودة إلى أبها مؤقتا، سألته: لماذا لا تعير الجامعة اهتمامك؟ فرد علي باقتضاب قائلا: «أخي منصور». فشقيقه فرض عليه البقاء في جامعة الملك فيصل.

obeikandl.com

فحينما لوح عبدالرحمن بمغادرتها قال له شقيقه الأكبر بصريح العبارة: «لو فصلت من الجامعة فلن تدخل بيتنا أبداً». لم تكن تعني الجامعة لعبد الرحمن أي شيء سوى أنها مدعاة للضجر ووسيلة للبقاء متصلا مع شقيقه وأسرته؛ إذ لم يشعر بأي ارتباط بها وأساتذتها. كان يشعر أن اليوم يمر بطيئا ممضا داخل قاعاتها. حاول أن يلتحق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران والخطوط السعودية خلال وجوده في جامعة الملك فيصل، بيد أنه لم ينجح، ما جعله يمرض مرضا طويلا ألزمه الفراش نحو ثلاثة أشهر. تخرج في الجامعة بأقل مجهود ممكن. كان يرسم لوحاته بقدمه. كان يحل واجباته راجلا وهو قادم للمحاضرة!

حصوله على شهادة بكالوريوس في العمارة لم يبهجه، فلم يحضر حفل التخرج، ولم يكافئ نفسه بإجازة قصيرة أو حتى بابتسامة. فور أن حصل على وثيقة التخرج طرق كل الأبواب بحثا عن وظيفة، ولم يفتح له الباب سوى شركة شلمبرجير، فتم تعيينه على وظيفة رسام وليس مهندس أو معماري كزملائه. وافق على العرض دون تردد. وبعد شهور قليلة من انضمامه إلى شلمبرجير لفت الأنظار بالتزامه ومهاراته المختلفة سواء في الرسم والالتزام والعمليات الحسابية. استثمر عبدالرحمن

إعجاب رؤسائه المبكر وعرض عليهم رغبته الدفينة في دراسة البكالوريوس من جديد عن طريق رعايتهم. لم تتردد الشركة في الموافقة على طلب عبدالرحمن، كونها شعرت بأن لديه مواصفات القيادي المرتقب. بعثت الشركة أوراقه ورغبته إلى جامعة الملك فهد على جناح السرعة. بعد فترة وجيزة حصل عبدالرحمن على القبول ليبدأ الدراسة مع العام الدراسي ٢٠٠٢. رغم الفرح الغفير الذي سكنه إلا أنه اختلط بقلق كونه متزوجاً حديثا ولا يعلم كيف سيوفق بين الثلاثة: الجامعة، والعمل، والزوجة. كان يخرج من منزله الساعة السابعة صباحا ولا يعود قبل الثامنة مساء طوال أربع سنوات. كان يذهب إلى عمله خلال الاستراحات بين المحاضرات. وكان يأكل طعامه في السيارة. ورغم الضغط الشديد والإرهاق إلا أنه كان يشعر بسعادة كبيرة. فزوجته كانت تعمل هي الأخرى صباحا في المدرسة، ومساء تلتحق بدورات تقنية.

ولم يكترث عبدالرحمن بالأصوات المناوئة التي تحيطه على شاكلة: «أأنت مجنون. كيف تدرس بكالوريوس من جديد؟» لأنه يشعر بلذة آنذاك لا يمكن أن يصفها في كلمات. هذه اللذة والمتعة التي شعر بها عبدالرحمن عندما درس في جامعة يفضلها وتخصص يبتغيه انعكست على أدائه ومعنوياته.

انعكست على مستقبله. فعبد الرحمن (٣١ عاما) يعمل حاليا كبيراً لمهندسي التكاليف في شركة معادن، ويشرف على مشاريع مهمة، والأهم من ذلك أنه يبتسم وسعيد.

نشر في يوم السبت ٨ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ٤ أبريل ٢٠٠٩م

obeikandl.com